جامعة الشهيد حمه لخضر-الوادي-

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

الأستاذ : عمر بوصبيع

المادة : الحضارة الرومانية – محاضرات-

المستوى: السنة الثانية ماستر

التخصص : تاريخ الحضارات القديمة

السنة الجامعية: 2022/2021

السداسي : الثالث

المحاضـرة الأولى

شبه جزيرة إيطاليا: الدراسة الطبيعية

I- الموقع الجغرافي

تعتبر شبه جزيرة إيطاليا الاطار الجغرافي الأول للحضارة الرومانية، وذلك لكون تلك الحضارة قد بزغ نورها من خلال مدينة روما الواقعة إلى الشمال الشرقي من شبه الجزيرة الإيطالية، تلك المدينة التي استطاع مواطنوها المعروفين باسم الرومان أن يحولوها من مصاف المدن إلى مصاف الدول، لتبسط بذلك هذه الدولة نفوذها على كل شبه جزيرة إيطاليا والجزر المجاورة لها، ومن ثم على حوض البحر المتوسط بشقيه الغربي والشرقي، ولتتحول هذه المدينة إلى نواة لحضارة متوسطية دامت لعدة قرون.

إن المتأمل في خريطة شبه الجزيرة الإيطالية يجدها مشابهة لساق بشرية قدمها في الجنوب الغربي وكعبها في الجنوب الشرقي، فهي بذلك تتوسط حوض البحر المتوسط منحدرة من الشمال إلى الجنوب وكأنها تشطره نصفين حوض شرقي وآخر غربي، ولتمنح الدولة القائمة عليها موقعا استراتيجيا متميزا مقارنة بالأمم الأخرى، ذلك الموقع الذي وصفه بعض المؤرخين بالحربي والذي مكنها من السيطرة على العالم القديم.

يصل طول شبه الجزيرة الإيطالية إلى حولي 1150 كم من الشمال إلى الجنوب، ويبلغ أقصى عرض لها في الشمال عند سهل البو حوالي 850 كم ليتضاءل جنوبا فيبلغ ما بين 140و 160كم.

يحد شبه جزيرة إيطاليا من ناحية الشمال العديد من الدول الأوربية، فمن الشمال الشرقي تحدها جمهوريتي كرواتيا (Croatie) وسلوفينيا (Slovénie) الحاليتين، ومن الشمال دولتي النمسا (Autriche) وسويسرا (Suisse)، أما من ناحية الشمال الغربي فتحدها فرنسا (France)، ومن جميع النواحي الأخرى تحاصرها أجزاء من البحر المتوسط، فمن الشرق يحاصرها البحر التيراني (Mer

Tyrrhénienne) ومن الجنوب البحر الأيوني (Mer Ionienne) أما البحر الأدرياتيكي (Mer Adriatique) فهو الذي يرسم حدودها الشرقية.

كانت تتبع إيطاليا منذ عصر الجمهورية الرومانية العديد من الجزر المحاذية لها مثل صقلية (Sicile) التي يفصلها عن شبه جزيرة إيطاليا مضيق ميسينا (Massine)، وجزيرة سردينيا (Sardaigne) بالبحر التيراني، وكذلك جزيرة ألبا (Alba) الواقعة بين جزيرة كورسيكا وساحل إيطاليا الغربي.

II- التضاريس والمناخ

عُرِفَتْ إيطاليا منذ القديم بأشهر سهولها وأكثرها اتساعا وهو سهل البو الواقع شمال شبه الجزيرة، والذي تطوقه سلسلة جبال الألب، تلك السلسلة التي لطالما كانت جدار صد ضد الغزاة القادمين من أوربا، والتي تمتد من الشمال الشرقي حيث البحر الأدرياتيكي، وتنتهي في أقصى الشمال الغربي لإيطاليا بالقرب من نيس (Nice) على الريفيرا الفرنسية. وقد استمد هذا السهل أهميته في حقيقة الأمر من نهر البو الذي يجري عبره والذي يعتبر من أهم أنهار إيطاليا وأعظمها على الإطلاق، حيث ينبع من جبال الألب في أقصى الغرب ويتدفق بعد أن تغذيه روافد أخرى تنبع من الألب في العديد من الأماكن نحو الشرق ليصب في البحر الأدرياتيكي شرقا، وبذلك يعمل هذا النهر على نقل الكثير من الرواسب الطمية من مرتفعات الجبال وترسيبها في سهل البو الأمر الذي عمل على زيادة خصوبة تربته بشكل مستمر.

أما سهول إيطاليا الأخرى فهي تنتشر في الشرق والغرب على سواحل شبه الجزيرة، غير أن الاختلاف بين الجهة الشرقية والجهة الغربية كان واضحا من خلال اختراق سلسلة جبال الابنين (L' Apennin) لشبه الجزيرة من الشمال إلى الجنوب، تلك السلسلة التي تعتبر بالنسبة لإيطاليا بمثابة العمود الفقري لجسم الإنسان، تحتمي بفضلها شواطئ البلاد الغربية من الرياح الشمالية الباردة، وتنبع منها أنهار تمنح الحياة لسهولها وترويها وتصب مياهها في نهاية المطاف في خلجان البحر ذات

المناظر الساحرة، و تبدأ تحديدا هذه السلسلة من الطرف الجنوبي الغربي لجبال الألب في شمال غرب إيطاليا، وتمتد شرقا في شكل قوس مفرطح تقريبا ثم تنزل جنوبا لتصل أقصى جنوب شبه الجزيرة الإيطالية نحو الشواطئ الشرقية، وفي هذا الاطار وصف المؤرخ الألماني تيودور مومسن (Théodor Moumsen) إيطاليا بأنها غصن قوي تفرع عن سلسلة جبال الألب الغربية متجها نحو الجنوب الغربي. وقد نتج عن مَيَلَانِ جبال الابنين نحو الشرق أن ضاقت مساحة السهول الشرقية الإيطالية التي أصبحت محصورة بين مرتفعات جبال الابنين العالية وبين البحر الأدرياتيكي، لتلامس هذه السلسلة شواطئ حوض الأدرياتيكي بالكتلة الجبلية التي تعرف باسم الأبروز (Les Abruzzes) ثم تتجه السلسلة نحو الجنوب بعلو ثابت، وليتضاءل بعد ذلك علو جبالها وتنقسم إلى سلسلتين صغيرتين إحداهما أقل ارتفاعا من الأخرى تتجه نحو الجنوب الشرقي، والثانية أكثر وعورة وأخطر انحدارا والتي تتجه مستقيمة نحو الجنوب، لتنتهي سلسلة جبال الابنين من الجهتين بما يشبه الجزيرتين الصغيرتين.

ومن هنا صار الشريط الساحلي الشرقي متصفا بالضيق من الشمال إلى الجنوب ولا يتسع إلا عند منطقة أبوليا (Apulie) في الجنوب الشرقي حيث تبتعد سلسلة جبال الابنين نحو الغرب فاسحة المجال لسهل متسع به مراع غنية وتربة خصبة، ومن أهم مناطق ذلك الشريط الساحلي الشرقي في الشمال نجد سهل أمبوريا (Ombrie)، بيكينيوم (Picenum) وأبوليا، أما أقصى الجنوب الشرقي لشبه الجزيرة فيوجد به سهل كالابريا (Calabrie)، كما تجتاز هذه السهول الضيقة بعض المجاري المائية مثل الريبيكون (Rubicon) شمال أمبوريا، ونهر أوفيدوس في منطقة أبوليا الجنوبية.

وبخصوص الجهة الغربية التي كانت أوفر حظا من خلال اتساع سهولها وفساحتها نظرا لانحناء سلسلة جبال الابنين نحو الشرق لتفسح المجال لثلاثة سهول شاسعة عرفت بها إيطاليا منذ القديم وهي على الترتيب من الشمال إلى الجنوب : سهل أتروريا (Etrurie)، مهد حضارة الأتروسك والذي يجري نهر الأرنو (Arno) ،

وسهل اللاتيوم (Latium) الذي يجتازه نهر التيبر (Tibre) وهو الإقليم الذي تأسست به مدينة روما (Rome) القديمة، وهو الموطن الأول للغة اللاتينية قبل انتشارها، ثم سهل كمبانيا (Campanie) في الجنوب الغربي، والذي تأسست به عدة مدن شهيرة كانت وجهة لهجرات سكانية مبكرة من بلاد الإغريق مثل كبوا (Capoue) وتقع به أيضا مدينة بومبيي (Pompéi) التي غمرتها حمم بركان فيزوف (Éruption du Vésuve).

كانت السواحل الإيطالية والتي يصل طولها إلى أكثر من 3000 كم، وخاصة تلك السواحل الشرقية منها على عكس السواحل اليونانية مستقيمة في معظمها وقليلة التعاريج، لذلك فهي تفتقد إلى الخلجان والمراسي أو الموانئ الطبيعية التي يمكن أن تستخدم في الملاحة، لذلك لم نسمع من خلال الأحداث التاريخية في إيطاليا قديما عن موانئ عديدة وكأن الإيطاليين لم يكونوا يملكون خلال عصر الجمهورية الرومانية سوى ميناء واحد هو ميناء بروندزيوم (Brundisium) في أقصى الجنوب من كالابريا.

أما مناخ شبه الجزيرة الإيطالية فكان متباينا بين الشمال والجنوب، أما الجهة الجنوبية فيسودها مناخ البحر الأبيض المتوسط حيث الجفاف وسطوع الشمس والحرارة صيفا، بينما تكثر الأمطار شتاءً، ولكن يغلب على هذا المناخ الاعتدال على وجه العموم، أما في الشمال فيسود المناخ الألبي حيث الثلوج والبرد الشديد شتاءً.

وكما تَغَنَى مفكرو اليونان ومؤرخوهم بجمال طبيعتهم وسحرها، كذلك عَبَّرَ مؤرخو الرومان وشعراؤهم عن شغفهم وولعهم بطبيعة بلدهم التي تتعانق فيها الجبال بالسهول والوديان، وتنتشر بها الشواطئ التي تلامس البحر من ثلاث جهات، فيقول فيرجيليوس (Virgile) :"هذا الربيع الدائم والصيف حتى في غير أشهره، هنا تلد الأنعام مرتين في السنة وتثمر الأشجار مرتين." ،ويعبر بلين الكبير (Pline l'Ancien) عن فتنته بجمال بلده فيقول:" ليس على ظهر الأرض ولا تحت قبة السماء بلاد تماثلها في جمالها وروعة منظرها."